

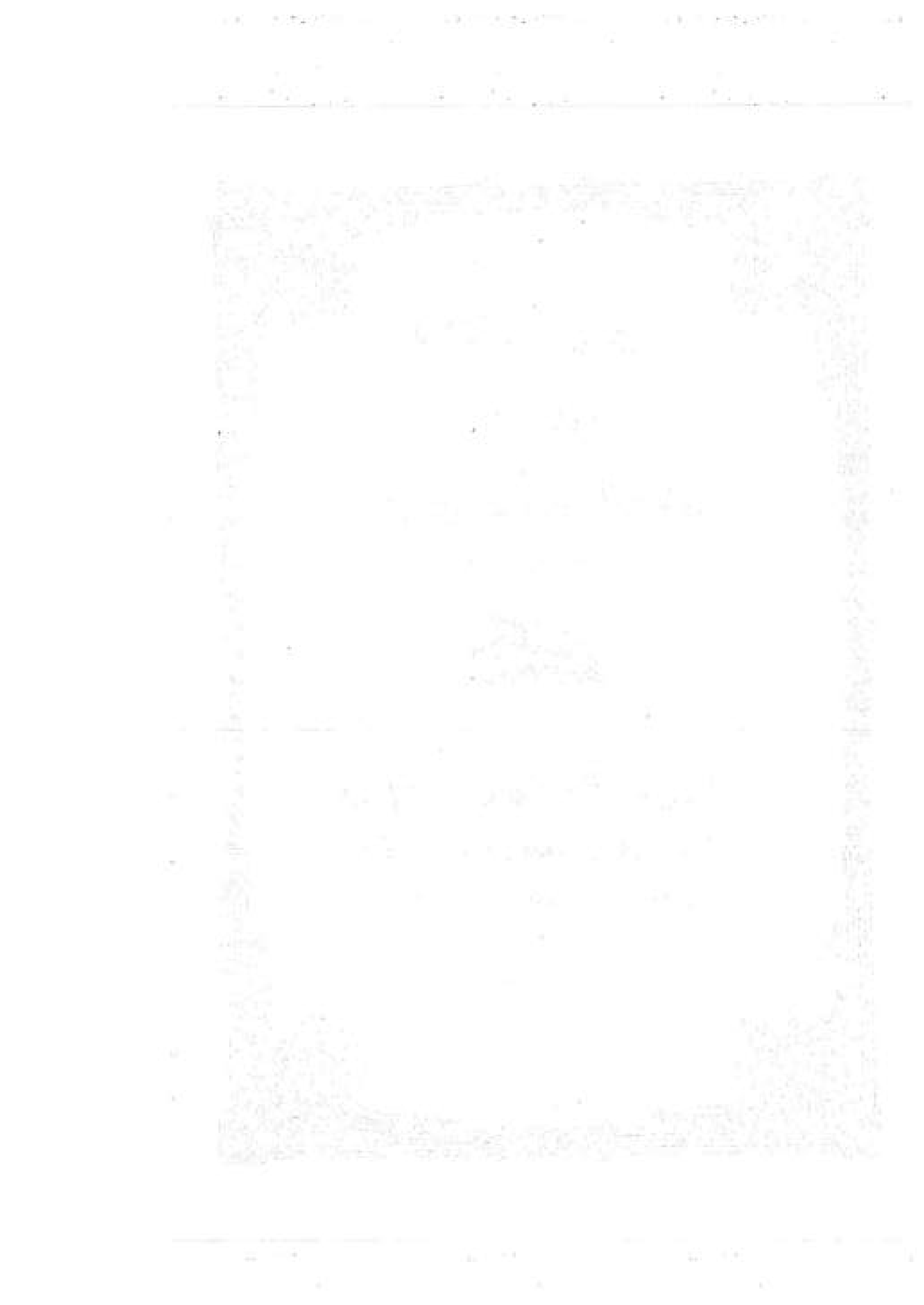
دلالة التوحيد
في قصة
عيس عليه السلام



أ.د / أحمد عبد الله الطيار

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية



تمهيد ومدخل:

مظاهر وحدانية الله – سبحانه – ترى أمام الأعين آناء الليل وأطراف النهار والوجود كله شاهد صدق على هذه الحقيقة .. ولا يمارى فى هذا إلا إنسان أظلمت نفسه وقسا قلبه فلا ينفذ إليه حق ولا يزعن له ..

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

والقرآن الكريم فى عرضه لقصة عيسى – عليه السلام – يوضح هذه الحقيقة حيث يبين أن خَلْقَه – أى عيسى – عليه السلام – فريد ، فقد جاء عن طريق نفخ الروح فى أمه الطاهرة العفيفة المتبتلة .

قال الله تعالى « ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين»(١)

وهذا على غير عادة الناس فى التوالد الطبيعى ، والتناسل البشرى ، ومن هنا فإن نبى الله – عيسى عليه السلام – ليس له أب من البشر ، وهذا أمر خارق للعادة .

وقد جعله الله تعالى هو وأمه آية .

قال الله تعالى « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» (٢) ودلائل التوحيد فى قصة هذا النبى الكريم كثيرة ..

فمنذ أن حملت به أمه الطاهرة وحتى رفعه الله سبحانه تتوالى الدلائل

---

(١) الآية ١٢ سورة التحريم .

(٢) الآية ٥٠ سورة المؤمنون

وتظهر الخوارق التى تأخذ باللب .

وهذه الدلائل سنتحدث عنها من خلال عرض القرآن الكريم لحياة المسيح – عليه السلام –

قال الله تعالى «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر إلى يؤفكون»(١)

نسب عيسى عليه السلام :

ذكر القرآن الكريم نسب نبى الله عيسى – عليه السلام – بأنه المسيح عيسى بن مريم وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل .. اسمه "عيسى" ولقبه "المسيح" ويكنى «ابن مريم» نسبة إلى أمه مريم ابنة عمران لأنه علية السلام ولد من غير أب .

وهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة وروح منه وهذا النسب الزكى ذكره الحق سبحانه فى قوله «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »(٢)

وهذا الاسم أوحى الله به لأمه مريم قبل أن يولد – عليه السلام – وهذه التسمية جاءت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع .

وجاءت هذه التسميةأيضا – بالكنية – فى حديث رسول الله – صلى الله

(١) الآية ٧٥ سورة المائدة

(٢) الآية ٤٥ سورة آل عمران

عليه وسلم - فى صحيح البخارى عن ابن عباس سمع عمر رضى الله عنه يقول على المنبر : سمعت رسول الله صلى لاله عليه وسلم - يقول « لا تُطْروني كما أطْرتْ النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله» (١)

وعلى هذا فما ذكره القرآن العظيم وأخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو النسب الحقيقى لنبى الله عيسى - عليه السلام .

على عكس الأناجيل التى ذكرت أنسابا كثيرة مختلفة وليس نسبا واحدا .

فعلى سبيل المثال نجد فى إنجيل لوقا .

«هو يسوع بن يوسف النجار بن هالى بن لاوى بن ملكى .. إلى أن ينتهى النسب إلى يهوذا ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام .

وفى إنجيل متى :

هو يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان .... إلى أن ينتهى إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام .

فإنجيل لوقا يقول : إن يوسف بن هالى .

وإنجيل متى يقول : إن يوسف بن يعقوب .

وإنجيل لوقا يقول : إنه من أولاد ناثان بن داود .

وإنجيل متى يقول : إنه من أولاد سليمان بن داود .

وإنجيل لوقا يقول : إن آباء المسيح غير سلاطين وغير مشهورين .

(١) البخارى ٢ / ١٢٥ .

وإنجيل متى يقول : إن آباء المسيح سلاطين مشهورون .

وفى إنجيل لوقا أن بين داود والمسيح واحد وأربعين جيلا .

وفى إنجيل متى إن بين داود والمسيح ستة عشر جيلا . (١)

وأمام هذا الاختلاف الشديد بين الأناجيل فى نسب المسيح يقف الإنسان حائرا .. فلا يدرى كيف يوفق بين هذا التناقض العجيب فى كتاب يُسميه أصحابه مقدسا ويؤمنون به .

ولا ندرى من أين اكتسبت هذه القداسة .. وهذا التناقض الواضح من أوضح الدلائل وأصدق البراهين على أن هذا كله تحريف ولا أساس له .

ولا أدل على ذلك مما جاء فى كتبهم .

فى الفقرة السابعة عشر من الإصحاح الأول من إنجيل متى ما نصه :

«فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا»

فنسب المسيح من خلال هذا النص يشتمل على ثلاثة مراحل كل منها مشتمل على أربعة عشر جيلا وهذا غلط صريح .

لقد وقع التحريف بكل صوره – التبديل والزيادة والنقصان – فى هذه الكتب. (٢)

(١) النبوة والأنبياء ، محمد على الصابونى ص ١٨٧ ، ١٨٨

(٢) يراجع هذا بالتفصيل فى كتاب «إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الهندى من ص ١٠٦ – ٢١٢

ومن ثم فإن ما تثبته عن المسيح عليه السلام كله محض افتراء وبهتان وصدق الله العظيم « من الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون. يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جائكم من الله نور وكتاب مبين» (١)

ولا أريد أن استقصى هذه الأكاذيب .. ولكن حسبى أن ألج فيما قصدت من بيان دلائل التوحيد فى قصة عبد الله ورسوله وكلمته سيدنا عيسى – عليه السلام –

مهتديا فى ذلك بنور القرآن الهادى الذى لا يخبو أبدا فهو الحق الذى لا مرية فيه «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»

مريم الطاهرة ومعجزة الميلاد

السيدة الطاهرة من نسل داود عليه السلام ، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بنى إسرائيل في زمانه ، وكانت أمها من العابدات ، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم .. وقيل زوج خالتها .

وكانت أم مريم – كما يذكر ابن اسحاق وغيره – لا تحمل .. فنذرت إن حملت لتجعلن ولدها محرراً أى حبيسا فى بيت المقدس .. فحملت بمريم عليها السلام « فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم

---

(١) الآيتان ١٤ ، ١٥ سورة المائدة

بما وضعت وليس الذكر كالأنثى »[١]

أى فى خدمة بيت المقدس ، وكانوا فى ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداما من أولادهم .

وقولها كما ذكر القرآن الكريم « وإنى سميتها مريم .....

وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»[٢] قد استجيب لها فى هذا كما تُقبل منها نذرها .

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن البنى – صلى الله عليه وسلم – قال " ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يُولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم «وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»

وعن أبى هريرة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال «كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى»[٣]

ونقف أمام هذا الحديث المعجز من ناحيتين .

الأولى : تمنى أم مريم الولد بعد طول اليأس فقد كانت لا تحمل ويتحقق لها ما تحب – وهذا أمر خارق للعادة .

الثانية : استجابة دعائها « وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» .

(١) الايه ٣٦ سورة آل عمران

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢ / ٦٤٥ ، ٦٤٦

(٣) المسند للإمام أحمد ٢ / ٢٨٨

ولكن قالوا : معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله ، وزعموا أن نفوس المعاندين لمذهب الاسماعيلية ، تبقى أبد الدهر في النار ، على معنى انها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان ، فلا تزال تتعرض فيه إلى الآلام والأسقام ، فلا تفارق جسداً إلا ويتلقاها آخر " (١).

ومن هذا النص يتضح أن الاسماعيلية تقول بالتناسخ ، وتنكر البعث والجنة والنار بمعنى أن الروح بعد موت الجسد التي كانت فيه تنتقل إلى جسد آخر ، وهذا الجسد الجديد يكون حسب السابق من حيث النعيم أو الجحيم .

ونظرية الدور – التي ذكرت فيما سبق تبين بكل وضوح عقيدة الاسماعيلية في التناسخ ، فالاسماعيلية تؤمن بوجود دورات متعاقبة لهذا العالم ، في كل دور نبي ناطق ووصي وأئمة ستة ، فإذا جاء السابع ، افتتح دورا جديدا ، وصار نبيا ، وعلى هذا الاساس آمنوا أن الانبياء والائمة خلقوا من نور العقل الكلي (خالق هذا العالم على حد زعمهم) ، وأن هذا النور يتسلل بالانبياء والائمة في كل الادوار ، حتى انهم اعتبروا ان آدم هو نوح ، ونوح هو موسى ، وعيسى هو محمدﷺ وهكذا . (٢).

ومن هنا نستنتج أن هذا المعتقد يقوم على التناسخ ، فقد جعلت الانبياء شخصا واحدا ، وكذلك الائمة يظهرون في كل دور بنفس ظهورهم في الدور الذي سبقه ، أي بمعنى اخر تنفى أجسامهم وتبقى أرواحهم تتعاقب على أجسام أخرى ، وهذا بعينه مذهب التناسخ .

وأرواح المؤمنين عند الاسماعيلية عندما تموت وتمتزج بالهيكل النوراني تعود بعدها إلى الارض بأجسام اخرى ، وتدخل الدعوة من جديد إلى أن تصل إلى مرتبتها فيها قبل موتها .

---

١ – الغزالي ، فضائح الباطنية ص ٤٤ – ٤٦ .

٢ – د . الخطيب الحركات الباطنية ، ١١٢ .

أما أرواح المعاندين ، فتدخل فى أدوار متكررة من العذاب تتقمص فى كل دور سبعين قميصا ، فقد تأتى بصورة البشر الذين لا يصلحون للمخاطبة .أو تأتى بصورة الحيوانات ، أو بصورة النبات ، أو تظهر الروح فى داخل المعدن والحجر[١]

وأولته الإسماعيلية القيامة ، على أن قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية ولآلات الجسدانية ، بظهور صاحب الزمان [٢]

وجنة النعيم هى عالم العلم ودرجاتها هى مراتب العلوم ، وأما اللذات فهى جولات النفوس فى فضاء معرجها وابتهاجها عند الحصول فى مشاهدها ومواقعها [٣]

وعلى هذا فإن نعيم الجنة ولذاتها عند الاسماعيليين إنما هى لذات معنوية وليست حسية وتبعا لذلك فإن الاسماعيليين ينكرون الجنة والنار ، ولا يؤمنون بهما فاللذة الحسية عندهم فانية غير باقية ، لأن ما هو حسى متغير فاسد [٤] والعذاب الحسى كذلك لايقع على المعاند ، وإنما يكون عن طريق التناسخ التى تتلاحق على نفس أو روح المعاند ، فهى برازخ للمعاند حتى يتخلص من عناده [٥]

ومما يذكر أن جذور عقيده التناسخ تعود إلى جمله معتقدات كانت قبل الإسلام فالهندوسية تقول بتناسخ الأرواح ، وكذلك مذاهب الفلاسفة اليونان القدماء مثل سقراط وأفلاطون وغيرهم ، وذهبت المانويه (وهى احدى ديانات فارس) إلى التناسخ أيضا ، ويبدو أن الديانات الشرقية الوضعية فى غالبها تقوم على عقيدة التناسخ ، وأن الإسماعيلية عرفت تلك الفكرة منهم (٦)

١- اديان وفرق ص ١٤٩
٢- عارف تامر ، أربع رسائل تعليمية ص ٦٩،٦٨
٣- المصدر السابق ص . ٧
٤- تاج العقائد ومعدن الفوائد نقلا عن كتاب أديان وفرق ص ١٤٩
٥- الحامدى ، كنز الولد نقلا عن كتاب أديان وفرق ١٤٩
٦- أنظر كتاب اديان وفرق ص ١٥٠

٣ - أشـــهر رجــال الاسماعيلية .



١- اسماعيل بن جعفر الصادق محمد الباقر الهاشمي القرشي : جد الخلفاء الفاطميين ، وإليه ينتسب الإسماعيلية ، وهي فرقة من فرق الشيعة في الأصل ، وتميزت عن الاثنى عشرية بأن قالت بإمامته بعد أبيه . وقد توفي في حياة أبيه سنة (١٤٣هـ -٧٦٠م) ، وتفرقت الإسماعيلية في القول بحياته أو موته فرقاً كثيرة (١) .

٢- محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسيني الطالبي الهاشمي ، الملقب بالكتوم ، وهو عند بعض الإسماعيلية أول الأئمة المستورين والباقون من ولده كما تزعم الإسماعيلية ، ولد بالمدينة ، وتوفي في بغداد ، ويُقال ذهب إلى بلا الروم ، ويسمونه سابع الأئمة ، وقد قام بالإمامة بعد وفاة أبيه (أو اختفائه) سنة ١٣٨هـ (٢) .

٣- المهدي أبو محمد عبد الله المدعي أنه علوى ، وتلقب بالمهدى ، بن المهدية ، ومات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة من الهجرة وعمره ثلاث وستون ، واختلف فى تسمية كثيراً (٣) .

٤- القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي ، تولى الأمر بعد والده ، وأخفى موته سنة حتى دبر أموره وكان مثل والده حازم الرأي شجاعاً ، توفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة (٤) .

٥- اسماعيل المنصور : أبو طاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب ، كان عاقلاً شجاعاً بليغاً ، عهد بالأمر بعده إلى المعز الفاطمي ، توفي سنة احدى واربعين وثلاثمائة من الهجرة (٥) .

٦- المعز الفاطمي باني القاهرة ، معد بن اسماعيل بن سعيد بن عبد الله أبو تميم المدعى أنه فاطمي ، صاحب الديار المصرية وأول من ملكها من الفاطميين ، وكان قبل ذلك ببلاد أفريقية وما والاها من بلاد المغرب ، ادعى الانصاف والعدل

---

(١) انظر الأعلام ٣٦١/١ والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٥٦ وما بعدها و، انظر جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص ١٧-١٨ .
(٢) انظر الأعلام ٣٤/٦ وانظر الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٧٩ وما بعدها .
(٣) انظر البداية والنهاية ١٩١/١١ إلى ١٩٢ وانظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٩٦/١ .
(٤) انظر البداية والنهاية ٢٢٧/١١ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٢١ وما بعدها .
(٥) انظر البداية والنهاية ٢٤٠/١١ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٢٨ وما بعدها .

ولكنهم كما قال القاضي الباقلاني : إن مذهبهم الكفر المحض واعتقادهم الرفض ، توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة (١) .

٧- نزار بن المعز ، يكنى بأبي منصور ويلقب بالعزيز ، استوزر بوزيرين أحدهما نصراني والآخر يهودي فاعتز بها قومهما في ذلك الوقت على المسلمين ، توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة (٢) .

٨- الحاكم بن نزار تنتسب إليه الزنادقة الحاكمية ، أقبح الحكام العبيديين وأسوؤهم كلهم كذلك ، كان كثير التلون في أحكامه وأفعاله ، حاول ادعاء الألوهية قتل سنة احدى عشرة وأربعمائة (٣) .

٩- أبو الحسن علي بن الحاكم لقب بالظاهر لاعزاز دين الله، كان في دمشق فاستدعته أخت أبيه بعد مقتل أبيه ، وألبسته تاج جده المعز واجلسته على السرير ، وبايعهُ الأمراء والرؤساء (٤) .

١٠- المستنصر : أبو تميم معد بن أبي الحسن علي الحاكم ، عهد بالأمر من بعده لولده نزار ، فخلفه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه ، وأمر الناس فبايعوا أخاه أحمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي ، توفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة (٥) .

١١- الآمر بأحكام الله بن المستعلي بن علي بن الحاكم ، ولي الامامة بعد أبيه وعمره خمس سنوات ، صرف وقته في اللهو والمجون تاركاً أمر الدولة لوزرائه حتى قتله الإسماعيلية النزارية سنة ٥٢٤ من الهجرة (٦) .

---

(١) انظر البداية والنهاية ١١/٣٠٢ ، والأعلام ٨/١٧٩ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٣١ وما بعدها .
(٢) انظر البداية والنهاية ١١/٣٤١ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٣٦ وما بعدها .
(٣) انظر البداية والنهاية ١٢/١٠-١٢ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٣٨ وما بعدها .
(٤) انظر البداية والنهاية ١٢/١٢ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٥٠ وما بعدها .
(٥) انظر البداية والنهاية ١٢/١٤٨ ، والأعلام ٨/١٨٠-١٨١ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ١٣٥ وما بعدها .
(٦) انظر الأعلام ٨/٢٢٤ وانظر الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٦١ وما بعدها .

٤ - أهم فرق الاسماعيلية المعاصـرة .

١ - الـدروز

تعريفهم :

وهم أتباع محمد اسماعيل الدرزي الذي قال بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي سموا بهذا الاسم نسبه إليه .

وهم يسمون أنفسهم " بالموحدين " .

نشأتهم :

هذه الطائفة أنبثقت من الاسماعيلية ، وظهرت في عهد الحاكم العبيدي الحاكم بأمره الذي ادعى الألوهية فاتبعه محمد بن اسماعيل الدرزي [١].

، وقال بألوهيته وذهب إلى بلاد الشام يدعو إلى تاليه الحاكم وركز دعوته في وسط اليهود والنصارى . فتبعه كثير منهم وكانوا يقصدون من وراء ذلك العمل على هدم الإسلام .

عقيدتهم :

قامت عقيدتهم على مبادىء الاسماعيلية وزات عليها بعض العقائد التي ميزتهم كالقول بألوهية الحاكم بأمر الله ويرجعته في اخر الزمان . وقد قام الدروز في العصر الحاضر بطباعة ما يسمى ب " مصحف الدروز " أو " المنفرد بذاته " والذي حاول كاتبه أن يحاكي القرآن العظيم ، فكان كمحاولة مسيلمة الكذاب . وحاول أن ينسبه إلى بعض أئمتهم القدامى وانكشف ببعض ما ورد في من ألفاظ عصريه وظهر في هذا الكتاب التأكيد على عقيدتهم الأساسية وهي تأليه الحاكم .

---

١ - جاء الى مصر سنة ٤٠٨ هـ ودخل في خدمة الحاكم بأمره وكان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المجنون وقد هلك سنة ١٤١١ هـ .

مواطن الــدروز :

استوطن الدروز لبنان وبانياس ، ومرتفعـات جبل حوران ، الذي سمي باسم " جبل الدروز " (١).

٢ - البـهـــرة

تعريفهم :

البهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر ، وأطلق على هذه الفرقة من الاسماعيلية البهرة لأن أوائل معتنقي هذه النحلة من التجار - كما سيأتي في نشأتهم .

نشــأتهــم :

وأساس نشأتهم أن بعض أتباع الاسماعيلية من تجار اليمن كانوا يذهبون إلى الهند بقصد التجارة مع أهلها من الوثنيين وغيرهم ، فقام هؤلاء الاسماعيليون بالدعوة إلى دينهم فأجابهم بعض أهل الهند إلى ذلك وكان معظمهم من التجار فعرفوا بالبهرة .

فـرق البهـرة :

انقسمت طائفة البهرة إلى فرقتين :

١ - البهرة الداودية ومركزهم في الهند وباكستان وإمامهم يقيم في بمباي .

٢ - والبهرة السليمانية ومركزهم في اليمن الجنوبي .

عقيدتهــم :

عقيدتهم الاساسية هي القول بألوهية أئمتهم .

---

١ - انظر كتاب عقيدة الدروز عرض ونقد ، د . محمد الخطيب ، كذلك انظر حركات الباطنية في العالم الاسلامي ص ١٩٧ وما بعدها . وانظر الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٠ - ١٣١ .

مساجدهم وصلاتهم :

البهرة يتخذون لأنفسهم أماكن خاصة للعبادة يسمونها : " جامع خانة " . ويصلون كما يصلي المسلمون ولكنهم يقولون إن صلاتهم للإمام الاسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الآمر . فهم كعبدة الأوثان .

حجتهم :

وهم يذهبون الى مكة للحج ولكنهم يقولون إن الكعبة رمز على الإمام .

كتبهم :

ويضع البهرة كتبهم الدينية موضع السرية والكتمان ، ولم يطبع من كتبهم إلا القليل مثل " صحيفة الصلاة " ولهم كتب مخطوطة لم تطبع مث كتاب " دعائم الاسلام " و " الحقائق " وهذان الكتابان يعرضان مذهبهم ويترجمان لدعواتهم ويذكران أقوالهم [١].

٣ - الأغاخانية

وهي فرقة تنبعث من الاسماعيلية ، مؤسسها " حسن علي شاه " الملقب هو وأبناؤه الذين خلفوه في زعامة الفرقة " أغاخان " وسميت بهذا الاسم لهذا اللقب العام لزعماء الفرقة .

نشأتها :

نشأت في إيران ، في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وقد تبناها الانجليز ، وهم الذين خلعوا على زعيمها لقب أغاخان .

مواطنها :

الاسماعيلية الأغاخانية يسكنون الآن نيروبي ، ودار السلام ، وزنجبار ، ومغشقر ، والهند وبعضهم في سوريا ، ومركز القيادة الرئيسي هو مدينة كراتشي .

---

١ - أنظر الاسماعيلية المعاصرة ص ١٣١ وما بعدها . كذلك انظر الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣١ - ١٣٢ .

عقيدتها :

أساس عقيدتهم هو القول بألوهية زعيمهم " أغاخان " ويقدسونه ويصفونه بصفات الألوهية ويدفعون له خمس مايكسبون .

وقد عرف الناس أغاخان ماجنا سكيراً مقامراً منغمساً في مواطن الفساد والخنا ، حتى عرف ذلك أتباعه ولكن يقولون إن كل ما يفعله فهو لشيء في علم الله (١).

١ - انظر الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٢ وما بعدها . كذلك انظر الاسماعيلية المعاصرة ص ١٣١ وما بعدها .

" لابد من الاعتراف بأن الحركات الباطنية ليست سوى مجموعة من المدارس الفلسفية الفكرية قائمة بذاتها تزخر بالحيوية الفكرية المتفاعلة ، وبالعقلية الخلاقة المبدعة التي استنبطت العلوم وانتزعت الأفكار الثورية والاشتراكية ، وابتكرت السنن والقوانين وأوجدت النظم والأحكام " (١) .

ومن خلال هذا العرض السريع نجد أن الباطنية قد شربت وارتوت من موارد هذه الديانات والمذاهب الفكرية ، بل إن الفكر الفلسفي يعتبر أقوى تلك المؤثرات ، إذا أخذ دعاة فرقة الإسماعيلية في هذا العصر يمجدونه ، ويرفعون من شأنه ، بل يفتخرون به ، وعلى هذا فإن العلاقة لا تعدو كونها علاقة تأثر وأن مصادر الفكر الباطني عموما والإسماعيلية على وجه الخصوص ، هي مصادر بعيدة كل البعد عن الإسلام عقيدة وشريعة ، فهي دخيلة عليه أرادت من ذلك إقتلاع جذوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٢) .

---

(١) الحركات الباطنية فى الإسلام ، مصطفى غالب ص ٥٢

(٢) انظر الإسماعيلية المعاصرة ، لمحمد الجوير ص ٣٠

٤ – القاب الباطنية

أطلقت على هذه الطائفة أسماء كثيرة للتمويه على الناس ، بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ، وذكر الإمام أبو حامد الغزالي [١] : أن لهم عشرة ألقاب .

الباطنية ، والقرامطة ، والقرمطية ، والخرمية ، والخرمدينية ، والإسماعيلية ، والسبعية ، والبابكية ، والمحمرة ، والتعليمية ، فزاد فرقتين ، ولم يذكر أبو حامد لهم ألقاباً سوى الألقاب المذكورة ، وذكر غيره أن من ألقابهم الملاحدة [٢] .

قال أبوحامد : ولكل لقب سبب :

أما الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظاهر مجرى اللب من القشر ، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية ، وهي عند العقلاء الأذكياء نور وإشارات إلى حقائق خفية، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار ، والبواطن والأغوار ، وقنع بظواهرها متسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر [٣] والأغلال ، وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية ــ قالوا بزعمهم ــ أن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف ، واستراح من اعبائه ، بزعمهم .

وهم المرادون بقوله تعالى : ((ويضع عنهم إصرارهم والأغلال التي كانت عليهم)) "الأعراف : ١٥٧" .

قال : وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم : ان الجهال المنكرين للباطن

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ــ أبوحامد ــ برع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، منها : (إحياء علوم الدين) ، و(تهافت الفلاسفه) ، وغيرهما ، رحل إلى الشام وبيت المقدس وأقبل على العبادة والزهد وفي آخر حياته مال إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين ، توفى سنة ٥٠٥ هـ .

انظر : الأعلام للزركلي ٢٢/٧ ، البداية والنهاية ١٨٧/١٢ .

(٢) انظر ذكر مذاهبالفرق الأثنتين وسبعين ، للشيخ عبدالله اليافعي ، ص ٩

(٣) أرادوا بالأواصر الأثقال والأوزار .

هم الذين أريدوا بقوله تعالى : ((فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)) "الحديد : ١٣".

قال : وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع ، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على التحكم بدعوى الباطن على حسب مايوجب الانسلاخ عن قواعد الدين ، أو تسقط البينة بموجب الألفاظ الصريحة ، فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ، ولا يعول عليه .

قال الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي (١) : هذه الآية التي استشهدوا بها الأنسب أن يكونوا هم من أهل العذاب المذكور فيها ، لا من أهل الرحمة ، لأن في الآية المذكورة .

"وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور" (الحديد : ١٤)

وهم الذين غرتهم الأماني حتى جاء أمر الله بإسقاطهم التكاليف ، وإبطالهم ظواهرها ، وتركهم الأوامر والنواهي ، وزعمهم أنهم قد بلغوا إلى حالة اسقطت عنهم التكاليف ، وكل هذه المذكورات من جمل الأماني والغرور ،

---

(١) هو عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني ، ثم المكي . ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث أي ولد سنة (٦٩٨ أو ٦٩٧ هـ) . مؤرخ باحث متصوف ، من شافعية اليمن . نسبته إلى يافع من حمير . ومولده ومنشأه في عدن ، حج سنة ٧١٢ هـ ، وعاد إلى اليمن . ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨ هـ فأقام ، وتوفى بها . من كتبه "مرآة الجنان ، وعبر اليقظان ، في معرفة حوادث الزمان ، وهو يقع في أربعة مجلدات . وله كتاب "روض الرياحين في مناقب الصالحين" وكتاب "الإرشادوالتطريز" الذي ذكر فيه حكاية منسوبة للشيخ عزالدين بن عبدالسلام في : رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ص ٧٨ . ، توفى اليافعي رحمه الله في العشرين من جمادي الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة بمكة المكرمة .

أنظر ترجمته في شذرات الذهب ٢١٠/٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ١٠٣/٦ ، البدر الطالع ٢٥٥/١ ، الأعلام ٧٢/٤ ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق د. زكي مبارك ١٨٣/١ ، معجم المؤلفين ٣٤/٦ .

فالعذاب المذكور في الآية بهم أليق وأنسب ، هذا إذا اقتصرنا في الإستدلال على مجرد مفهوم الآية ، وإلا فمعنا قواطع الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة على كونهم مبطلين ، بل من الدين مارقين ، وأن العذاب إنما يستحقه من نحا مذهبهم في جحد الشرائع ، والتلاعب بالدين [١] .

وأما القرامطة : فإنما لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال له حمدان [٢] قرمط، كان أحد دعاتهم في الإبتداء ، فاستجاب له في دعوته رجال فسموا : قرامطة ، وقرمطية .

وأما الخرمية : فهو بالخاء المعجمة مضمومة ، والدال مفتوحة ، وفي آخره ياء النسبة .

ويقال لهم : الخرمدينية على ماذكر من الضبط مع إسكان الميم ، وكسر الدال المهملة وبإسكان الياء المثناة في تحت .

قال الإمام أبوحامد : لقبوا بها نسبة لهم إلى حاصل مذهبهم وزيدته ، فإنه راجع إلى طيّ بساط التكليف ، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين ، وتسليط الناس على اتباع اللذات ، وطلب الشهوات ، وقضا الوطر من المباحات

---

(١) انظر ذكر مذاهب الفرق الأثنتين وسبعين ص ٩٢

(٢) هو حمدان بن الأشعث . ولقب بقرمط لقصر شديد في قامته ورجليه ، فكان يقرمط في مشيته إذ كان خطوه قصيرا ، جاء من بلدة خوزستان (الأهواز) وهي بين فارس والبصره وقدم إلى الكوفة ، وتظاهر بالزهد والورع والتقشف . ثم دعى إلى امام من أهل البيت ، حتى اجتمع حوله جمع كبير ، ثم دعى أهل قرية النهرين – التي كان يقيم فيها – إلى اعتناق مذهبه ، فأجابوه .

أنظر : تلبيس إبليس ص ١٢٣ – ١٣٥ ، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص ١٥٧ ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د./ الخطيب ص ١٣٥ ومابعدها ، القرامطة محمود شاكر ص ٩ – ١٢ .

والمحرمات (١) .

وقد كان هذا لقباً للمزدكية ، وهم أهل الإباحة من المجوس ، الذين نبغوا في أيام [قباذ] (٢) وأباحوا النساء وإن كن من المحارم ، وأحلوا كل محظور في الشريعة فكانوا يسمون " خرمدينية " فهؤلاء أيضاً لقبوا بها لمشابهتهم إياهم في آخر المذهب ، وإن خالفوهم في المقدمات ، وسوابق الحيل والإستدراج .

وأما " البابكية " : فاسم طائفة منهم بايعوا رجلاً يقال له : بابك الخرمي(٣)

قال أبو حامد : وكان خروجه في بعض الجبال بناحية أذربيجان ، في أيام المعتصم بالله تعالى ، فاستفحل أمرهم ، واشتدت شوكتهم ، وقاتلهم أفشين(٤) ، صاحب حبس المعتصم ، مداهناً له في قتاله ، ومتخاذلاً عن الجد في

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للشهرستاني ص ٢٣٣

(٢) هو قباذ بن فيروز ، والد أنو شروان العادل ، وقد ظهر في زمنه (مزدك بن ناهذان) مؤسس (المزدكية) وقد ادعى (مزدك) النبوة وأظهر الإباحية ، وانتهى أمره إلى أن ألزم (قباذ) إلى أن يبعث امرأته ليمتع . بها غيره ، فتأذى (أنو شروان) من ذلك الكلام غاية التأذي الأمر الذي جعله يقتل مزدك وأتباعة .

انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٢٤ .

(٣) بابك الخرمي فارسي مجوسي الأصل ، دخل في الإسلام وتسمى الحسن ، وقيل الحسين كان يطمع في استرجاع ملك فارس ودينها فحارب المسلمين لأجل هذا الغرض حتى قتل سنة ٢٢٣هـ . أنظر في شأنه الفرق بين الفرق ٢٦٦ ، ٢٦٩ العبر في خبر من غبر ٣٠٤/١ ، تلبيس إبليس ص ١٣٢ - ١٣٣ ، وقد عدهم - أي البابكية - فخر الدين محمد بن عمر الرازي في كتابة اعتقادات فرق المسلمين و المشركين ، من الذين يتظاهرون بالإسلام وإن لم يكونوا مسلمين "

انظر الإعتقادات ص ١٠٨ - ١٠٩

(٤) أفشين : خيذر بن كاوس ، فارسي الأصل جعله المعتصم في خدمته ثم أوكل إليه مقاتلة بابك الخرمي . اختلف المؤرخون في أمره فذكر بعضهم أنه انقلب على المعتصم فقتله ، أنظر : الفرق بين الفرق ٦٧ .

قمعه ، إضماراً لموافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة " البابكية " على جيوش المسلمين ، حتى فرقوا جند المسلمين ، وبدو لهم منهزمين ، إلى أن خبت ريح النصر ، واستولى عليهم المعتصم ، المترشح للإمامة في ذلك العصر ، فصلب بابك ، وصلب أفشين بإزائه .

وقال [١] : وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة في كل سنة يجتمع رجالهم ونساؤهم ، ويطفئون سرجهم ، ثم يتناهبون النساء ، ، فيثب كل رجل إلى امرأة يظفر بها ، ويزعمون أن من احتوى على امرأة بالإصطياد استحلها ، فإن الصيد من أطيب المباحات [٢] .

قال : ويدعون مع هذه البدعة نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام ، يقال له : شروين [٣]

وأما " الإسماعيلية " : فنسبتهم إلى إسماعيل بن جعفر رضى الله عنهما زعموا أنه إمامهم ، وأن دور الإمامة إنتهى إليه ، إذ كان هو السابع من محمد . صلى الله عليه وسلم . وأدوار الإمامة عندهم سبعة ، وأكبرهم يثبتون له منصب النبوة ، وأن ذلك يستمر في أعقابه ونسبه [٤]

---

(١) أي الغزالي في : فضائح الباطنية ص ١٥ .

(٢) تخصيص ليلة فسق في السنة ليست مقصورة على "البابكية" فقط بل هي عامة للباطنية، ذكر هذا كل من صنف عنهم أنظر: بيان مذاهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص ٨٧ قال : " الوجه الخامس عشر مما يدل على كفرهم ما ثبت بالتواتر أيضا كفرهم في ليلة الإفاضة التي لا تنكر .... يجتمع فيها الرجال والنساء ويفضى بعضهم إلى بعض بعد إطفاء السرج فيقع على الأم الإبن ، والأخ على الأخت وكيف اتفق"

وانظر أيضا : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . محمد بن مالك الحمادى اليمانى ص ٣٦ .

(٣) فضائح الباطنية : ص ١٤ ـ ١٦ .

(٤) ينظر فضائح الباطنية ص ١٦ .

وقال [1] : وقد أورد أهل المعرفة بالنسب في كتاب "الشجرة" أنه مات ولا عقب له .

وأما "السبعية" : فإنهم إنما لقبوا بها لأمرين :

أحدهما : لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة ، وأن الإنتهاء إلى السابع هو آخر الدور ، وهو المراد بالقيامة ، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها قط .

والثاني : لقولهم إن تدابير العالم السفلى ، وهو ما يحويه مقعر فلك القمر منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ، ثم المشترى ، ثم المريخ ، ثم الشمس ، ثم الزهرة ، ثم عطارد ، ثم القمر .

وقال أبو حامد : وهذا المذهب مسترق من ملحدة المنجمين وملتفت هذا إلى مذاهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاؤه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة ، فهذا سبب تسمية هذا اللقب .

وأما "المحمرة" : فقيل إنهم لقبوا بذلك لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام "بابك" ولبسوها ، وكان ذلك شعارهم .

وقيل سببه : أنهم يقررون أن كل من يخالفهم من الفرق ، وأهل الحق : حمير ـ وكان ذلك شعارهم .

وقال أبو حامد : والأصح التأويل الأول .

وأما "التعليمية" فإنما لقبوا بها لأن مذاهبهم مبداها إبطال الرأى ، وإفساد تصرف العقل ، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم ، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم .

ويقولون في مبدأ مجادلتهم لأهل الحق : العلم إما أن يعرف بالرأى ، وإما أن يعرف بالتعليم ، وقد بطل التعويل على الرأى لتعارض الآراء ، وتقابل الأهواء، واختلاف ثمرات نظر العقلاء ، فينبغي الرجوع إلى التعليم والتعلم . قال

(١) أى الغزالي في كتابة : فضائح الباطنية ١٦ .